



The desert between the past and modernity (the UAE as a model)

Dr. Manal Dawoud Musa

Full-time Lecturer – United Arab Emirates

Received: 8/6/2019
Revised: 3/7/2019
Accepted: 7/8/2019
Published online: 17/9/2019

Abstract: History is civilization in one of its meanings; History and civilization are synonyms that carry one meaning. History carries the story of man to populate the land on which he grew up and established his civilization. This is something that we cannot ignore, given the natural and environmental conditions it bears, to the extent that man and nature appear to be intertwined, as history is intertwined with geography. There is no doubt that the environment plays an important role as one of the basic capabilities and factors in life, especially a fundamental factor in the establishment of any civilization, including the desert, as the oldest civilizations arose and arose from the heart of the desert. Hence, I tried to review in this research the great role that the desert played throughout history, and the impact it played in the establishment of civilizations and states at the present time, and from here I took the United Arab Emirates in this research as a model and example that had arisen and emerged from the heart of the desert. She discussed her upbringing, and benefited from the desert data as a lesson for authenticity, values, and morals. How was it able to create a prosperous, civilized state from the heart of the desert, keeping pace with its development and reconstruction with the latest achievements in the world, and at the same time preserving its culture, ancient Arab originality, and the authentic desert characteristics that it absorbed?

Keywords: The Desert, the past, modernity, the Emirates.

الصحراء بين الماضي والحداثة (الإمارات أنموذجاً)

د. منال داود موسى

الملخص: إن التاريخ هو الحضارة في أحد معانيه، فالتاريخ والحضارة متزدفان يحملان معنى واحداً، فالنarrative يحمل قصة الإنسان لإنماء الأرض التي نشأ عليها أقام عليها حضارته وهو أمر لا يمكننا تجاهله بما تحمله من أحوال طبيعية وبيئية إلى الحد الذي يبدو فيه الإنسان والطبيعة متلازمان تلازم التاريخ بالجغرافيا. ولاشك في أن البيئة تلعب دوراً هاماً باعتبارها أحد الإمكانيات والعوامل الأساسية في الحياة ولاسيما عامل أساساً في قيام أي حضارة ومنها الصحراء، حيث أن أقدم الحضارات كانت قد قامت ونشأت من قلب الصحراء. ومن هنا حاولت أن أستعرض في بحثي هذا عن دور الصحراء الكبير الذي قامت به على مدى التاريخ، والأثر الذي لعبته في قيام الحضارات والدول في الوقت الحالي، ومن هنا أخذت دولة الإمارات العربية المتحدة في بحثي هذا أنموذجاً ومثالاً كانت قد قامت ونشأت من قلب الصحراء، وتتناولت نشأتها، واستفادت من المعطيات الصحراوية درساً للأصالحة والقيم والأخلاق.

الكلمات المفتاحية: الصحراء، الماضي، الحداثة، الإمارات.



مقدمة الدراسة:

علاقة التاريخ بالحضارة:

التاريخ قصة الإنسان في الكون، وسيرته في هذا العالم، ورحلته عبر الزمان والحضارة تجسيد لهذا كله على المستوى المادي واللامادي عبر القرون. وإذا كان مؤرخو الحضارات يجمعون على أن جميع حضارات الإنسان، منذ البداية حتى الآن، قد أخذت عن الحضارات التي سبقتها- باستثناء الحضارات الأولى التي حددها البعض مثل أرنولد تويني بعده معين في وديان الأنهر في مصر والعراق والصين والهند- فإن معنى هذا في التحليل الأخير أن تاريخ الحضارة متصل الحلقات متواصل المراحل شأنه في ذلك شأن تاريخ الإنسان صانع الحضارة أيضاً. وإذا كان الإنسان هو صانع التاريخ فهو أيضًا صناعة هذا التاريخ، بمعنى أنه يصنع تاريخه حقاً، ولكنه يتشكل بفعل هذا التاريخ أيضاً.

فإن الإنسان هو صانع الحضارة ونتاجها في الوقت نفسه، ومن ثم فإن التاريخ يحمل مفهوماً حضارياً، كما أن الحضارة تحمل مفهوماً تاريخياً، ولهذا السبب رحلة المعرفة التاريخية، أو "تاريخ موازية لرحلة الإنسان عبر الزمان" ومن ناحية أخرى كانت الحضارة هي ما أنجزه الإنسان على "التاريخ المستوى المادي واللامادي على امتداد هذه الرحلة وحتى الآن"، واللافت للنظر حقاً أن المؤرخين والباحثين وعامة المفكرين والمثقفين يتفقون على أن التاريخ علم موضوعه وهو ما يصدق على-الماضي الإنساني- ولما كانت الحضارة محصلة ما أنجزه الإنسان في الماضي.

الحضارات القديمة، والحضارات المعاصرة بالقدر نفسه - فإن الماضي عنصر يجمع بين التاريخ والحضارة فالحضارة بناء تاريخي متراكم فيما يشبه الطبقات الجيولوجية، ويحمل بصمات آثار التفاعل والتواصل (صدام الحضارة) المستمر بين الحضارات الإنسانية الأخرى، بغض النظر عن عبييات (نهاية التاريخ) و(العولمة).

وهنا نجد سؤالاً هل هناك ضرورة للمعرفة التاريخية في حياة البشر؟ وهل هناك وظيفة حضارية للتاريخ؟ إن بوسعنا الرعم بأن التاريخ ضرورة اجتماعية تقوم على أساسها وظيفته الحضارية. بمعنى أن كل جماعة بشرية بحاجة إلى المعرفة التاريخية التي تساعدها على معرفة ماضيها، أي أصولها التي تعينها على فهم مكونات حاضرها، واستشراق الطريق إلى مستقبلها.(١)

(١) قاسم، ٢٠١٥

١- الدكتور قاسم عبد قاسم، التاريخ...مفهوم الحضاري، دار العين، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والإجتماعية، مصر، ٢٠١٥

والتاريخ إحدى الوسائل التي يتوصل بها الإنسان لفهم كينونته الحضارية في هذا العالم . ولا تقتصر هذه الوسيلة على الماضي الذي يدرسه التاريخ وحده ، وإنما تمتد إلى رحاب الحاضر لتكشف آفاق المستقبل . وهكذا تحددت منذ البداية قيمة المعرفة التاريخية بوظيفتها الثقافية/ الاجتماعية، ومفهومها الحضاري. وليس من المتصور، بطبيعة الحال، أن هذه الوظيفة كانت واضحة لدى الجماعات البشرية الباكرة بدرجة وضوحها الحالية بيد أن إحساس الجماعة الإنسانية بالحاجة إلى هذا النمط من المعرفة كان موجوداً على الدوام ومع تطور مراحل رحلة الإنسان في الكون عبر الزمان تطورت أيضاً المعرفة التاريخية ودورها الحضاري فقد اجتاز علم التاريخ مرحلة التراكم الكمي والسرد لكي يدخل في طريق محاولة صياغة النظريات واكتشاف القوانين التي تفسر حركة الإنسان في الكون.

وعلى الرغم من أن العلم التاريخي لم يخل تماماً عن الكم والسرد، فإن محاولة صياغة النظريات واكتشاف القوانين هي نفسها محاولة البحث في أسباب قيام الحضارة وانهيارها، حيث انتقل علم التاريخ من محاولة الإجابة على سؤال "ما حدث" إلى محاولة الإجابة عن "لماذا حدث ما حدث؟ وكيف؟"

هذا كله يؤكد أن المفهوم (الحضاري) الذي يلازم علم التاريخ ويلتصق به، حقيقة كانت موجودة على امتداد (تاريخ التاريخ) وربما يكون مفيضاً في هذا المقام أن نقرر أن نمط المعرفة التاريخية قد ارتبط ارتباطاً عضوياً بالحضارة التي أفرزته على الدوام، فإن لكل جماعة نمط المعرفة التاريخية الخاص بها، والذي يعكس الخصائص العامة لحضارتها . ومن ثم فإن المفهوم الحضاري الكامن في المعرفة التاريخية يتجلّى واضحاً في التاريخ الثقافي لجميع الحضارات.

هذا هو المفهوم الحضاري للتاريخ ؟ فمن المؤكد أننا نخرج من دراسة التاريخ بحقيقة واضحة مؤكدة هي أن تجربة الإنسان في الكون تكشف لنا عن حقيقة التنوع والثراء الذي تتسم به الحياة الإنسانية في سياقها الاجتماعي وإطارها الحضاري، ولكننا نكتشف أيضاً أن لكل جزء في الحياة الإنسانية على مرّ التاريخ خصائصه الداخلية التي تجعلنا نقول إن هذا تاريخ الصين ، أو تاريخ المسلمين ، أو تاريخ الهند ... وما إلى ذلك. وهو ما يجعلنا نسمى الحضارات بأسماء مختلفة مثل الحضارة المصرية، أو الحضارة الإغريقية، أو الحضارة العربية الإسلامية ... وهكذا . (١) (قاسم،

٢٠١٥)

٣ - الدكتور قاسم عبد ع قاسم، التاريخ...مفهوم الحضاري، مرجع سابق

أثر البيئة في قيام الحضارة (عامل البيئة):

إن الأمر الذي لا يمكن تجاهله ،أن الإنسان يبني حضارته على الأرض بما تحمله من أحوال طبيعية وبيئية إلى الحد الذي يبدو فيه الإنسان والطبيعة متلازمان تلازم التاريخ بالجغرافيا ،فمن يريد أن يضع حدث معين مهما كانت ضالته، فإنه يحتاج بطبيعة الحال إلى مكان وزمان ليضع ذلك الحدث ،لأن الأمر متعلق بعملية واقعية معاشه فالفعل الحضاري بدون الجغرافيا مثله مثل المضمون بدون شكل ،والجغرافيا بدون الفعل الحضاري تمثل الشكل الساكن الفارغ من المحتوى. فالبعض ينظر لصورة الحياة الإنسانية على أنها انعكاس للأوضاع الجغرافية والمناخية لا تختلف في ذلك عن حياة النباتات ،وهذا يضمن أن التغيرات التاريخية إن هي الا أشكال مختلفة لشكل واحد لا يتغير هو الطبيعة الإنسانية في استجابتها لمختلف المؤثرات ،وهذه النظرية تمتلك رصيد وتاريخ عريق وقد تكون لاقت استحسان أكثر من سابقتها ربما لأن الأولى لاقت استهجان من الناحية الأخلاقية لما تحمله من تعالي للبعض وإنقاص من الأجناس الأخرى .

ومن الناحية العلمية ومما لا شك فيه أن البيئة تلعب دورا هاما باعتبارها أحد الإمكانيات والعوامل الأساسية في الحياة ،فمثلا "حرارة الأمطار الاستوائية" وما يجتاز هذه الأمطار من طفيليات لا تقع تحت الحصر لا يهيء للمدينة أسبابها ،فما يسود تلك الأقطار من خمول وأمراض وما تعرف به من نضوج مبكر من شأنه أن يصرف الجهود عن كماليات الحياة التي هي قوام المدينة ،فهذا المثال ينال من الصحة نصيب وافر ،ولكن هذا لا يعني أن البيئة هي العامل الوحيد ،بل أن هناك عوامل أخرى ساهمت في ذلك آذان شعوب كثيرة واجهت ظروف صعبة ،ولكن كانت لها القدرة على التغلب عليها ،بعد أن تمكنـت من معرفة أسرار الطبيعة ،وحاولـت تسخـيرـها للوجهـة التي تـريـد.(١) (الـكريـم)

وأن أكبر مثال الا وهو الصحراء .حيث نجد أن أقدم الحضارات كانت قد قامت ،ونشأت من قلب الصحراء على الرغم ما يسودها من قساوة الظروف من جفاف ،والطقس الحار، وندرة المياه والموارد الطبيعية الخ...

الا ان الحضارات القديمة وبعض البلدان، كانوا قد عرفوا أسرار تلك الصحراء ،وقاموا بتسخيرها، والاستفادة منها. فأسسوا حضارات عريقة، وبلدان حضارية وأن آثارها وإنجازاتها تشهد على ذلك. ومن هنا سوف أوضح دور الصحراء وأثرها الكبير في نشأة تلك الحضارات والبلدان وأخذـت دولة الإمارات العربية المتحدة أنموذجا كمثال عريق يحتذى به وكيف نشـأت من قلب الصحرـاء، وما بين قساوة الصحراء والعرقة والأصالة والقدم وما حققتـه من إنجازـات وابتكـارات في الـوقـت

^٣ المعاصر أ始建 دولة عرقية مزدهرة تواكب أحدث المعايير والإنجازات في الوقت المعاصر.

أثر الصحراء وسماتها في نشأة دولة الإمارات العربية المتحدة:

تقع دولة الإمارات العربية المتحدة في البروز الأرضي الجنوبي الشرقي من شبه الجزيرة العربية الذي يضم سلطنة عمان والإمارات العربية المتحدة وهي محصورة بين درجات العرض الجغرافي الشمالية ٢٢ درجة و٣٠ دقيقة و٥ دقائق وبين رملة عروق الشيبة في الجنوب ومنطقة سقيم- القير في الشمال في شبه جزيرة مسندم ، فإذا أضيفت إلى ذلك الجزر الإماراتية في الخليج يكون حدتها الشمال الأقصى هو العرض الجغرافي الشمالي ٢٦ درجة و١٥ دقيقة وخط الطول ٥٦ درجة و٢٠ دقيقة شرق غرينتش في أقصى شرق البلاد عند قرية خطم وبروز.(١) (taghreed)

وتغطي الصحراء الرملية معظم المساحة السطحية لدولة الإمارات العربية المتحدة ضمن حدودها المعاصرة الممتدة جنوباً من ساحل الخليج العربي إلى صحراء الربع الخالي الواسعة المهجورة ، وشرقاً إلى سهول الحصباء المجاورة لجبال الحجر. وتعد هذه الصحاري ظاهرة حديثة من وجهة النظر الجيولوجية ناتجة عن التآكل والتعرية التي حدثت على مر العصور في بيئات جافة فوق سطح الأرض وتغطي الرمال طبقة رسوبية ثخينة غنية بالنفط تعرف بالمنبسط الصخري العربي التي تشكل حجر الأساس في معظم دولة الإمارات العربية المتحدة ولم تكن هذه الأحجار ظاهرة على سطح الأرض ، بل تم اكتشافها من خلال عمليات الحفر والتنقيب ، وتختلف رمال الصحراء من حيث الشكل والتركيب ، إذ تتالف غالبية الرمال القريبة من الساحل من مشتقة من الأحجار الأساسية الكربونية والواقع والشعب المرجانية ، مواد كلسية التي تعد من المعادن خلافاً للرمال الداخلية المتألفة في أغلبها من حبيبات الكوارتز المكونة للأحجار باستثناء الأحجار الكربونية. وتتضمن حبيبات رمال الصحراء عادة شوائب سطحية أو حبيبات الكوارتز التي أصابتها عوامل التعرية والغربلة بصورة كبيرة وتقوم النباتات بثبتت الرمال في العديد من المناطق القريبة من الساحل ، الا أن هذه النباتات الطبيعية تعرضت مؤخراً للتغيرات نتيجة لرعى الحيوانات الداجنة . وإلى داخل البلاد بعيداً عن الساحل تكون الرمال قاحلة في الغالب حيث لا توجد الكثير من النباتات التي يمكن زراعتها بنجاح على الكثبان الرملية المتحركة.

وتسيطر جملة من العناصر على عملية تكوين الكثبان الرملية وهي شدة الرياح واتجاهها ووفرة المواد المترسبة الا أن تفاصيل هذه العمليات كانت معقدة وصعبه الفهم ويمكن أن تكون تشكيلاً للكثبان الرملية منظمة في أي منطقة معينة وكذلك معقدة ، على رغم ذلك الانتظام

^٤ - السعدي أمبارك عبد الكريم، عوامل قيام الحضارات بين التعددية والأحادية، جامعة بنغازى، ص ٨-٧

تختلف مقاييس الخصائص الشكلية لهذه الكثبان ،فهناك المرتفعات الرملية العملاقة التي يقاس امتدادها من مئات الأمتار إلى بضعة كيلو مترات أو تلك الكثبان التي تمتد بين بضعة أمتار إلى العشرات من الأمتار أو تلك الحديبات الرملية التي تمتد جزءاً من المتر أو أكثر بقليل ، ومن الممكن ملاحظة هذا التدرج القياسي في صحاري دولة الإمارات العربية المتحدة بسهولة.(٢) (جلال، ٢٠١٨).^٤

وتعد الخصائص المناخية من بين العوامل الطبيعية التي تؤثر على حياة الإنسان على الأرض في أي مكان وزمان، فالإشعاع الشمسي ودرجة الحرارة ،ومقدار الضغط الجوي ،والرياح، ونسبة الرطوبة ، والأمطار تؤثر بشكل كبير في الحياة اليومية لسكان دولة الإمارات العربية المتحدة . فنجد أن ساعات العمل في شهور الصيف تقل خاصة في الأماكن المفتوحة ، وقد سنت الدولة قوانين صارمة للمحافظة على حياة العمالة في فترات الظهيرة ، ومن العناصر المناخية الرئيسية التي تؤثر في الخصائص المناخية لدولة الإمارات العربية المتحدة:

▪ الحرارة.

▪ الرياح والكتل الهوائية.

▪ نسبة الرطوبة.

وقد برزت على سواحل الخليج في منطقة ساحل عمان التي تعرف الآن بالإمارات العربية قوتان مستقلتان هما: القوة البحرية :وتتألف من حلف قبائل بني غافر يتزعمه القواسم وهم قبيلة عمانية عربية حيث بدأت زعامتهم على أثر انحلال دولة اليعاربة التي حكمت عمان بأكملها وبدأت دولتهم في ما يسمى اليوم برأس الخيمة والشارقة ثم انتشرت لتشمل شرق الخليج العربي بساحليه الشمالي والجنوبي إضافة للجزر وقد صارت للقواسم في القرن السابع عشر الميلادي أضخم قوة بحرية في المنطقة وامتاز رجالها بالصلابة والشجاعة .

وبنو ياس هم قبيلة عربية عدنانية يرجع نسبها إلى ياس بن عامر بن صعصعة بن معاوية بن بكر بن هوزان ولها وجود هام على ساحل الخليج العربي تحالفت بعض القبائل معها وأطلق على هذا الحلف تحالف بني ياس وكانت زعامة هذا الحلف بيد قبيلتان آل بو فلاح التي ينحدر منها آل نهيان حكام إمارة أبوظبي آل بو فلاسة والتي ينحدر منها آل مكتوم حكام إمارة دبي .

أما القبائل المتحالفة فتشمل:آل بومهير، المزاريع، الهوامل، المشاغين وهم فرع من آل بومهير مستقل، السبايس وهم فرع من آل بو مهير مستقل، المحاربة، القبيسات، الرميثات،

^٤ - د. جلال زناتي جلال، الموسوعة التاريخية لإمارات السعادة العربية دولة الإمارات العربية المتحدة بين عبق الماضي وأمال المستقبل، جامعة الإسكندرية، كلية التربية

الحالمة، المرر، آل بوحمير، وهم فرع من المناصير القمزان، السودان، الريالات، امتد نفوذ بني ياس آنذاك على طول الساحل الإمارati الحالي حتى خور العديد.

وكانت طبيعة الحياة في تلك الفترة لم تكن أعداد سكان المنطقة تتعدى ٧٢،٠٠٠ نسمة.^(١) (جلال، ٢٠١٨[°])

- تسخير السمات الصحراوية الأصلية في عملية النهوض:

إن الأمة التي لا تعرف ماضيها وتهمل تدوينه لن تتمكن من قيادة حاضرها ولا صياغة مستقبلها وهو ما أكدته القائد المؤسس الشيخ زايد بن سلطان آل نهيان طيب الله أثره حيث قال: "ومن لا يعرف ماضيه لا يستطيع أن يعيش حاضره أو مستقبله" ونحن في دولة الإمارات العربية المتحدة "لسنا أمة طارئة على التاريخ" كما قال صاحب السمو الشيخ محمد بن راشد آل مكتوم رعاه الله، فتاريخ الوطن ممتد ما يقرب من سبعة آلاف سنة وفق ما أثبتته النقوش والرسوم واللقم الأثرية للبعثات العالمية منذ مطلع الخمسينيات من القرن المنصرم حتى تاريخه.

إذا كان تاريخ الإمارات العربية المتحدة يعود إلى آلاف السنين فإن تاريخ شعبها يمتد لأكثر من ١٤ قرناً من الزمان مع بداية الإسلام وأثبت خلالها هذا الشعب قدرته على تعمير هذه الأرض وساهم في صنع الحضارة العربية التي كانت رافداً هاماً وأساسياً في صنع الحضارة العالمية.

وليس هذا ادعاء بداعي العصبية وحب الوطن بل هو حقيقة ثبتها الشواهد العلمية والتاريخية المتتالية في العديد من مناطق الدولة والشواهد الحضارية التي ثبت أن أجدادنا عاشوا على هذه الأرض وعمروها منذ قرون طويلة. وتزخر دولة الإمارات العربية المتحدة بالعديد من شواهد التاريخ القديم والحديث فمنذ ألف الثالث قبل الميلاد كانت هناك مستوطنات بشريّة لها فعاليتها الاقتصادية خارج حدودها وتمتد علاقتها إلى الحضارات الأخرى المحيطة بها، وقد اكتشفت حتى الآن عدد من المواقع الأثرية تعود إلى الفترة من ألف الثالث قبل الميلاد إلى ألف الأول قبل الميلاد مثل قرية هيلي قرب مدينة العين، وأم النار على الشاطئ قرب أبوظبي، والقصيص في دبي وغليلة في منطقة رأس الخيمة ودبا على الساحل الشرقي، ومن العصر الإسلامي الأول هناك عدد من الآثار منذ القرن السادس عشر في مدينة العين والعوهة ورأس الخيمة

[°] - د. جلال زناتي جلال ،الموسوعة التاريخية لإمارات السعادة العربية دولة الإمارات العربية المتحدة بين عبق الماضي وأمال المستقبل ،مرجع سابق.

والرمضان.

ومن هذا التاريخ العريق المنبثق من قلب الصحراء صحراء العرب ، وصحراء دولة الإمارات العربية المتحدة . فمع هذه الظروف المناخية الصحراوية حيث الحياة الصحراوية القاحلة والطقس الحار الجاف، ندرة المياه، والموارد الطبيعية .

حيث القبائل دائمة الترحال ، وربما تقطع القبيلة آلاف الكيلو مترات في الصحراء ، دون أي وسيلة لتحديد الاتجاهات سوى الشمس والنجمون، فلم يكن البدو يستخدمون أي وسيلة معتمدين في ذلك على شروق الشمس وغروبها والنجمون، وقد استخدمو الإبل لسبعين: الغذاء المباشر والبيع إضافة إلى اعتمادهم عليها كوسيلة للتنقل إذ كان عصب الحياة.(١) (جلال، ٢٠١٨)

وهنا السؤال الجوهرى والذى يطرح نفسه بموجب قساوة الصحراء وظروفها كيف قامت دولة الإمارات العربية المتحدة ؟ وكيف أنسنت نهضتها وحضارتها وحققت إنجازاتها؟ وما هي القواعد التي أنسنت عليها دولتها؟

صحراء قاحلة، طقس حار جاف، ندرة المياه والموارد الطبيعية . كانت تلك حياة صحراء الإمارات العربية المتحدة وظروفها ، الا أنها في نفس الوقت يجب أن ننظر للموضوع من الجوهر أي ما حمله من معانٍ أخرى لها القيمة الكبرى والجوهر الثمين الأصيل ، مع أوائل الخمسينيات لم يكن الحال أفضل مما مضى. فكانت مدينة العين تعيش حياة بسيطة لا تخلو من القسوة ، فأهلها كانوا يقطنون البيوت التي بنيت من الطين ، وسعف النخيل وكانت النساء تحمل الماء داخل جرار فخارية من الأفلاج فوق رؤوسهن.(٢) (الظاهري، ٢٠١٨).

وسط هذا الظلام الدامس والقسوة الموجعة ، عاش سكان العين البدو في تحد لصعاب الحياة ، من فقر وعوز وأيضاً مرض ، حيث كانوا يعتمدون في علاجهم على الأعشاب الطبية التي كان يتاجر بها بعض المدعين في سوق المرض ، وبما أن بحثي عن الإمارات أنموذجاً لم أجد أفضل وأغنى وأهم مصدر من الشيخ محمد بن راشد آل مكتوم رعايا الله في كتابه "قصتي" والذي هو من أكثر الكتب غنى وقيمة بما يحتوي من تفاصيل ودروس قيمة.

ولا يسعني الا أن أعرض الموضوع كما هو من كتاب "قصتي" من الشخص نفسه الشيخ محمد بن راشد آل مكتوم لأوضح الواقع والصورة بموضوعية وشفافية خالصة كما هي وسوف أذكر بعض

^١ - د. جلال زناتي جلال، الموسوعة التاريخية لإمارات السعادة العربية دولة الإمارات العربية المتحدة بين عقب الماضي وأمال المستقبل، مرجع سابق.

التفاصيل عن إمارة دي لكي أوضح فكرة الجوهر الكامن داخل قساوة الصحراء وما هي الدروس، والقيمة والأصالة الخالصة الكامنة من قلب قساوة الصحراء وكيف كان الواقع وما هي الخطط والأسس التي تم إتباعها والنهج الذي ساروا عليه في تأسيس دولة الإمارات العربية المتحدة.

قال الشيخ محمد بن راشد آل مكتوم "إن ما يقود الشعوب نحو التطور ليس الوفرة المادية بل الطموح، الطموح العظيم، نحن البشر يحركنا الإلهام والطموح أكثر من أي شيء آخر" "كنت في السابعة أو الثامنة عمرى عندما بدأ والدي يأخذنى لأحد شيوخ المناصير في الصحراء، واسمه حميد بن عمته، لأنعلم منه الصيد . وحميد لم يكن يسكن قرب الماء مثل بقية البدو، بل كان بعيداً في الصحراء ، مع زوجته وأبنته وصقره وكلب للصيد ومضارب خيم، ما زلت أذكر زوجته وقوتها في حمل الحطب وحلب النوق وذبح الغنم وطبخها لوحدها، بالإضافة إلى مهاراتها في الصيد بالصقور والكلاب.(٢٠١٨) (مكتوم، ٢).

كان أبي يتركني مع حميد بالأيام. تعلمت منه الصيد بالصقور والكلاب، وحركة الحيوانات وعاداتها وخدعها الكثيرة للاختفاء، وكيف يصيد المفترس منها، وكيف يصاد الضعيف فيها. فمثلاً لا جدوى من محاولة صيد لأرنب عندما يرعى ،لأنه يكون سريعاً، وإنما في أول النهار أو في آخره عندما تأوي الأرانب إلى بيوتها، وتحفر الأرانب في الصيف لنفسها جحوراً عميقاً ،أما في الشتاء وهو موسم الصيد فإنها تدفن نفسها بين الشجيرات وسط الرمل ، وأفضل طريقة لصيدها هي تعقب حركتها حتى بييتها.

تعلمت من حميد الكثير عن الصقر وعاداته، وكلب الصيد وطبيعته، كثيرون مثلاً لا يعرفون لماذا يضع البدوى الصقر على يده ويرفعه دائماً عند مستوى نظره، لأن الصقر يحس بالخطر إذا كان على علو أقل من الذي بجانبه . عدو الصقر هو النسر ودائماً يحذر من علا ارتفاعه عنه، وقد يهاجمه.

بعد يوم مليء بالصيد ودروسه كنا نجتمع حول النار للعشاء والحديث الذي لا يمل ، ذكريات مازالت محفورة في ذاكرتي بجمالها وشغفها ، وحتى بالآلامها، نعك آلامها: لا يعادل دفء الفراش في الصحراء الباردة بالليل أي شيء . لكنني كنت أستيقظ عدة مرات على لدغات عقارب صغيرة، يبدو أنها كانت تبحث عن الدفء أيضاً في فراشي . أقوم متأنقاً بشدة. يأخذني حميد إلى النار ، ويوضع الرماد على أماكن اللدغات ليينحرر السم ويسهل امتصاصه. كانت حرارة الرماد تخفف الألم اللدغات، وكانت استغرب أنني الوحيد الذي تلدغه العقارب...

نعم الوحيد، وذلك لسببين الأول لأنني لم أستمع للنصح بالتحقق من الفراش قبل النوم في

الصحراء وما يضمه، والثاني لأن حميد كان يجمع ما بين ١٠ إلى ١٢ من صغار العقارب ويضعها في فراشي متعمداً، أدركت ذلك متأخراً. كان حميد يريد أن يبني مناعتي ضد لدغات عقارب الصحراء المميتة عن طريق هذه الجرعات من العقارب الصغيرة ولدغاتها. ولليوم، لاتزال لدى مناعة ضد سم العقارب.

أبي والخيل ودبى، هي ذكرياتي الأولى عن طفولتى، أبي والخيل ودبى هي ذكرياتي التي ستبقى معى حتى النهاية.

الخيل تجمع العزة والأنفة والرقة والقوه في نفس الوقت، وكذلك أبي وكذلك دبى.
ما بين الرابعة والثامنة من عمري ،علمني أبي الكثير عن الصحراء وكيف يمكن أن تعيش حياة كاملة فيها، رغم ما يظهر عليها من قسوة المظاهر وقلة الموارد واتساع قد يخيف الكثير من الناس. بين الرابع والثامنة ،علمني والدي كيفية تعقب الأثر أو قراءة الرمال كما لو أنه تتصفح كتاباً. كان يريني آثار الإبل، ويقول: كل بدوى يمكنه تمييز إبله من آثار أقدامها ،ولوكان عددها بالمئات.(١) (مكتوم، ٢٠١٨^٧)

عرفي عندما كنت صغيراً على آثار الغزلان، والجبارى، وطيور الكروان، والعقارب، والأفاعى والذئاب والثعالب، وكل حيوان يسكن الصحراء كان يقول: لا يمكن أن نفهم حيواناً دون فهم البيئة التي يعيش فيها بالكامل، وموقعه فيها، وكذلك الإنسان، قد يجعله البيئة التي يعيش فيها ملاكاً أو شيطاناً. لابد أن نعرف البيئة التي نشأ فيها.

لابد من تكتيك وخطة للحصول على الطعام في الصحراء. وكان والدي يقول: عندما تمضي الليلة وأنت جائع، ستتعلم دروسك بتركيز أكبر في صباح اليوم التالي.

تعلمت من والدي الرماية وإفراغ البنادقية وتنظيفها قبل الثامنة من عمري. تعلمت منه أن ترك السلاح من دون مرافق جريمة كبرى. لأنه قد يقع بين يدي شخص آخر ويودي بحياته.

كنا نذهب إلى الصيد ومعنا أدوات صغيرة فقط، ونصطاد معظم ما نحتاجه من طعام. اهتم والدي بتعريفي على تضاريس الأرض وعلاماتها، بالإضافة إلى علامات السماء، النجوم. النجوم هي بوصلة الصحراء. وفي الليالي الغائمة نستعين بالرياح وجهة شروق الشمس. كان يقول: الضياع في الصحراء أمر سهل جداً، ويعتمد الفريق دائمًا على القائد ليحدد الطريق. كانت هذه الغريزة تتآصل في داخلي كل يوم، لتغدو عملية طبيعية وتلقائية.

قبل الثامنة من عمري علمي والدي كيف أعيش في الصحراء مع هواها ودواها مع ذئابها

^٧ - محمد بن راشد آل مكتوم، قصتي، مرجع سابق، ص ٢٧-٢٨.

وغزلانها، مع بردتها وحرتها وتقلباتها. بعد الثامنة علمي والدي كيف أعيش في المدينة، مع البشر. دبي ليست صدفة. دبي هي ثمرة رحلة استمرت أكثر من ١٨٥ عاماً. دبي هي قصة طويلة من الكفاح والتغلب على مخاطر هددت وجودها واستمراريتها. دبي اليوم دانة الدنيا وستبقى بإذن الله. بدأت رحلة دبي مع الشيخ مكتوم بن بطی في الثلث الأول من القرن التاسع عشر وهو الحاكم الذي رسم الإرث الحالي للعائلة ووضع حجر الأساس لإمارة دبي. وكان هدفه الأول جعل دبي مكاناً آمناً لكل سكانها، ثم خلفه شقيقه سعيد بن بطی الذب أرسى عدالة مطلقة في الإمارة الناشئة. عامل رئيسي في استمرارية دبي عدالتها مع القريب والبعيد. وجاء أساسياً من إرث الأسرة الحاكمة في دبي هو العدالة. لأن ظلم ولا نظلم. العدالة التامة هي الدرس الأول في دستور دبي غير المكتوب. وجاءت سنون شداد في عهد سعيد بن بطی، انتشرت فيها الحروب بين القبائل. رسم الشيخ سعيد الأمن الداخلي بقوة، واستطاع إبرام تحالفات مع أبوظبي وبقية الإمارات الأخرى المجاورة

(١) (مكتوم، ٢٠١٨)^٤

واستطاع أيضاً التعامل مع البريطانيين الذين حكمت علاقتنا معهم معاهدة. العلاقات المتوازنة مع الجميع والتحالفات المستمرة هي الدرس الثاني في دستور دبي غير المكتوب. لا نعادي أحداً ولا عذر لأحد أن يعادينا.

ثم جاء الشيخ حشر بن مكتوم في النصف الثاني من القرن التاسع عشر، حيث استمر حكمه سبعة وعشرين عاماً شهدت خلالها دبي مزيداً من الاستقرار والتمكين وعرف بحكمته وحزمته، خلفه الشيخ راشد بن مكتوم الذي حكم دبي ثمان سنوات، عمد خلالها إلى تعزيز استقرار دبي، أمنياً واقتصادياً.

ومن بعده جاء مكتوم بن حشر الذي استلم مقاليد الحكم أواخر القرن التاسع عشر. وكان مكتوم صاحب نظرة اقتصادية عبقرية، حيث حققت دبي في عهده ازدهاراً اقتصادياً لافتاً. مرسياً قواعد التجارة والاستثمار فيها. وهذا هو الدرس الثالث في دستور دبي غير المكتوب، الانفتاح على الجميع، وتحرير التجارة أمام الجميع والترحيب بكل من يريد أن يضيف شيئاً لاقتصادنا.

بعد وفاة الشيخ مكتوم بن حشر في العام ١٩٠٦، حكم الشيخ بطی بن سهيل دبي ست سنوات، قبل أن يخلفه سعيد بن مكتوم، الذي انتقلت دبي في عهده إلى مرحلة جديدة تماماً أرست خلالها نواة المدينة الحديثة.

^٤ - محمد بن راشد آل مكتوم، قصتي، مرجع سابق، ص ٢٨-٤٧.

بدأ جدي الشيخ سعيد بن مكتوم فترة حكمه التي استمرت نحو خمسة عقود في العام ١٩١٢. فشهد عدد سكان دبي في عهده زيادة كبيرة وازدهرت التجارة البحرية في مجال الأقمشة والأعشاب والبخور وغيرها.

وصية جدي لنا هي التنوع الاقتصادي وعدم اعتماد على مصدر واحد، وهو ما سار عليه أبي الشيخ راشد من خلال بناء الموانئ وتوسيع الخور، وتطوير المناطق الحرة والمطار، وإطلاق الشركات الكبرى.

كثيراً ما يسألني الناس بانبهار لماذا تطلق دبي باستمرار مشاريع جديدة ومختلفة؟ مناطق للإعلام، ومدينة للإنترنت، ومسرعات للتقنية، وموانئ في كافة أنحاء العالم، ومطارات جديدة، وشركات في قطاع الطيران والألمنيوم والعقارات والتكنولوجيا المتقدمة والصيغة الإسلامية والتقلدية وغيرها؟ لماذا كل هذا؟

الإجابة هي في دستور دبي غير المكتوب تنويع المصادر هو القاعدة الرابعة لنجاح دبي، وهو وصية توارثها الأسرة الحاكمة. هو الضمان أن ما وصلنا إليه بعد رحلة كفاح استمرت أكثر من ١٨٥ عاماً لا يمكن أن نتخلى عنه بالاعتماد على مصدر واحد للدخل، ومصدر واحد فقط للحياة. تعلمت لا أستهين بالطبيعة أبداً، وتعلمت بعدها أن نكون مستعدين دائماً لأي طارئ. رغم

قصيدة العاصفة

بدأ الشيخ راشد حكمه بطاقة كبيرة وحماسة عالية وروح متقدة. كل يوم في حكم راشد كان مدرسة بالنسبة لي في كل يوم فكرة ومشروع وحكمة.^٩ (٢٠١٨) (مكتوم، ١١) أذكر أنه القرارات التي اتخذها راشد بعد توليه مسؤولية الحكم تأسיס مجالس للبلدية والتجارة وغيرهم من الأشخاص الموهوبين في مجتمعنا. من بناء ومهندسين وتجار ومثقفين. وعندما سأله عن سبب دعوته كل هذه الوجوه الجديدة، نظر إلى بجدية وقال: الإنسان لا يتوقف عن التعلم. نريد منهم أن يخبرونني كيف يريدون أن نبني دبي، ونريدهم أن يعلمونا كيف تكون قائداً، فقد بدأ تدريبك كذلك.

كان ذلك أول درس تلقيته على يد راشد. كان الكلام عميقاً وبسيطاً وكانت أدرك عمقه وأهميته وعظمته كلما كبرت، وكلما زادت مسؤولياتي. نعم الإنسان لا يولد كاملاً، هو بحاجة لعقل غيره لاستكمال عقله ورأيه، وهو بحاجة لتعلم مستمر لا يتوقف مهما بلغ من منزلة. القائد بحاجة لمشورة من حوله أيضاً، لكسب تأييدهم لخططه ومشاريعه، فلا يتكبر على النصيحة والمشورة إلا

^٩ - محمد بن راشد آل مكتوم، قصتي، مرجع سابق، ص ٤٧-٦٧.

جاهل.

قامت دولة الإمارات على أيدي قادة كانت لديهم القدرة على إنكار الذات، وحققت الدولة المعجزات على أيدي هؤلاء القادة، وسيبقى أحد أهم أسرار نجاحنا هذه القيمة التي لابد أن تستمر في جميع المسؤولين في هذه الدولة حتى تستمر المعجزة، قيمة إنكار الذات لمصلحة البلد.^(١) (مكتوم، ٢٠١٨، ١٠)

وبعد ذكر القصة كما هي ب الواقعها الحرفي اعتقد أن الصورة أصبحت واضحة وجلية للجميع، إذ أن تلك الدولة العريقة، على الرغم من نشأتها من قلب الصحراء الا أنها كانت السمة المميزة التي امتازت بها فمن تلك القاعدة الواسعة استخدمت دولة الإمارات العربية المتحدة تلك الظروف وسخرتها لإنشاء دولة عريقة منذ البداية باعتمادها على الإبل والصقور والغزلان واستخدام النجوم كبوصلة ،من هذه البساطة الخالصة تشربت دولة الإمارات العربية المتحدة أصالتها وعراقتها التي هي ميّزتها الأساسية ترعرعت على قيم الوفاء والإخلاص والتقدير ،من النجوم أرشدتها إلى طريقها في بناء دولتها والتمسك بالطموح للوصول وتحقيق الإنجازات.

لم تعيقها قساوة الصحراء بل دفعتها للوصول سخرتها بما هو خير للناس والدولة، لم توقفها مطبات الحياة ومعوقاتها بل زادت منها قوة وإصرار لتحقيق الازدهار .

ومن خلال تلك المعاني الجوهرية القيمة، والتي تشربتها منذ البداية وترعرعت عليها ،أصبحت هي ميّزتها العالية والتي تميّز بها عن غيرها ،ذلك التراث العريق بما هو غني من قيم وأخلاق وأصالة، قدوة ومثال يحتذى به في جميع المجالات.

علاقة الحضارة بالقيم:

تخالف القيم باختلاف الحضارات التي تتبناها، فالحضارة الإسلامية ثابتة القيم لا تتغير، وذلك لثبات مصدرها. بينما الحضارات التي استندت على القيم المادية الوضعية ،فإن قيمتها تتغير بالتغير الفكري المتجدد. فالحضارة التي تسيطر عليها النظم المادية تتأثر قيمتها بذلك. فتقل الجوانب الروحية فيها إذ أن الحضارة لا تقوم على القيم المادية فقط أو الروحية فقط (١) (بريجية، ٢٢ سبتمبر ٢٠١٦).

فكثيراً ما تعتمد استراتيجيات التنمية على الجوانب الاجتماعية ،والقيمية ،وسلوك الأفراد، والجماعات في توطين التنمية ،ويؤكد المختصون على أهمية القيم الأخلاقية في تقدم الأمم، ونهضتها وغالباً ما تعود أسباب سقوطها إلى الانهيار في منظومة القيم الأخلاقية.

^{١٠} - محمد بن راشد آل مكتوم، قصبي، مرجع سابق، ص ٦٧-١١٩.

فإن الأخلاق والعمان (مصطلاح ابن خلدون) أو الأخلاق، والتنمية ، قضية في الاقتصاد على وجه الخصوص وفي الفكر الخلدوني يعمل مصطلح العمان على قيام الدول وسقوطها وتطور المجتمعات واضمحلالها فإن ابن خلدون في مقدمته (مقدمة ابن خلدون) اعتقاد أن الالتزام بالشريعة بما فيها من قيم أخلاقية شرط لتحقيق العمان، على نحو أمن ومستقر وكتب في فصل آخر ما يؤكد أهمية القيم الأخلاقية في الاقتصاد(٢) (محمد العربي ببوش، ٢٠١٨).

حيث يتفق المفكرون والمؤرخون من أمثال ابن خلدون. على أن ضعف منظومة القيم الروحية، والأخلاقية في المجتمع يعد أهم سبب في وجود الأزمات، وحصول تحديات تواجه الأمة في استعادة نهضتها المفقودة، ولقد تعددت آراء الباحثين في تحديد مفهوم القيمة .نظرا لاختلاف توجهاتهم الفكرية أو مدارسهم العلمية ، وتخصصاتهم الأكاديمية. حيث عرفت القيم بعدها تعريفات منها:

مجموع المعتقدات والقناعات التي ينظر من خلالها الفرد إلى أي موضوع سيكولوجي "إنسان ، حدث سلوك أو شيء" والتي تعمل على توجيه رغباته ، نحو هذه المواضيع السيكولوجية وتحدد طبيعة سلوكه تجاهها "القبول، الرفض، اللامبالاة"(٣) (السلومي)

كل ما من شأنه أن يمثل معيارا وميزانا يتحرك من خلاله الإنسان ، ويتصرف وعيًا وسعيًا بوعي من إشاراته، وتوجيهاته حيث تكون هذه الحركة في استقامة وثبات. وبه يكون لهذه الحركة قدرتها وفاعليتها^{١١}

المعنى الخلقي الذي يستحق أن يتطلع إليه المرء بكليته ، ويجهد بالإتيان بأفعاله على مقتضاه. أي أنه المعنى الذي يجمع بين استحقاقين أثنيين استحقاق التوجّه إليه واستحقاق التطبيق له. ولاشك أن الأخلاق مأخوذة من الدين. و توضيح ذلك أنها تدور على الخير والشر والخير والشر لا تنسان من الواقع لأن الواقع لا ينشأ الا الواقع .والقيمة أمر واجب. والواجب خلاف الواقع كما أنهما لا ينشأان من العقل المستقل ، لأن العقل المستقل لا ينشئ الا القانون أما القيمة فهي عبارة عن مثال والمثال خلاف القانون إذ القانون يسبق الشك وقد يعقبه خطأ في حين أن المثال اليقين ولا يعقبه الا الصواب. فعلى الرغم من أن قوانين التمايز مختلفة ومفهومها بشكل غامض ولها نتائج متشعبة الا أنه في الوقت نفسه فإن أي تمايز لا يتم توريثه لا يمثل أي أهمية فإذا لم يكن له

١١- أروى بريجية، مفهوم الحضارة والقيم، موضوع، ٢٢ سبتمبر، ٢٠١٦.

٢- محمد العربي ببوش، د. عبد القادر مهارات الشهاب، دور القيم الروحية في بناء الأمم والحضارات حثياتها-دولة المغاربة أنموذجا، مجلد٤، معهد العلوم الإسلامية، جامعة الوادي، ص ٢٧١-٢٦٧.

٣- د. عبد العزيز السلومي، القيم الروحية والنهاض التنميوي في فكر ابن خلدون مع الإشارة للتجربة الماليزية كأنموذج لمساهمة القيم في النهاض التنموي للمجتمعات المعاصرة ، عمر حوتية، جامعة أدرار، ص ٢٩١-٢٢٠.

دور نافع ذا معنى لا يشكل أي قيمة، ومن جانب آخر ذكر ابن خلدون في أن أهل البدو أقرب إلى الخير من أهل الحضر "وسببه: أن النفس إذا كانت على الفطرة الأولى كانت متهيئة لقبول ما يرد عليها، وينطبع فيها من خير أو شر ، وبقدر ما سبق إليها من أحد الخلقيين تبعد عن الآخر ويصعب عليها اكتسابه . فصاحب الخير إذا سبقت إلى نفسه عوائد الخير وحصلت لها ملكته بعد عن الشر، وصعب عليه طريقه، وكذا صاحب الشر إذا سبقت إليه أيضاً عوائده .

وأهل الحضر لكترة ما يعانون من فنون الملاذ وعوائد الترف، والإقبال على الدنيا ، والعكوف على شهواتهم منها قد تلونت أنفسهم بكثير من مذمومات الخلق ، والشر وبعدت عليهم طرق الخير ، ومسالكه بقدر ما حصل لهم من ذلك " ومن هنا فإن بذرة فطرة الأخلاق هي تلك الأساسes الداعمة والتي طبع عليها سكان الإمارات العربية المتحدة الأخلاق والخير وبنوا دولتهم وأورثوها لأبنائهم وسوف يورثونها للأجيال اللاحقة من بعد ذلك (١) (خلدون، ٢٠٠٤).

فلا يبقى إلا أن الأخلاق على الأقل في أصولها مصدرها الدين. فيحدث منها العقل بإحدى آلياته الاستدلالية فروعًا فيتوهم بعضهم أن الأخلاق كلها أصولاً وفروعًا إنما هي من صنع العقل الإنساني. وقد قال الله تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم : " وإنك لعلى خلق عظيم "

ويعبر مالك بن نبي ويمكن اعتبار هذا الجانب ركناً أصيلاً وجوهرياً في مشروعه حيث عمّ تجربة الإصلاح الفكري والروحي لبناء الحضارة بقوله" وكانت الأمة تقدم تصحياتها لبناء المدارس والمساجد من أجل البعث الفكري والبعث الروحي " اللذين هما عماد كل حضارة.(٢) (اليعري، فبراير ٢٠١٧)

إذا فان القيم والأخلاق الفاضلة، هي الأساس القوي الذي تبني عليه الحضارات، ويحمي البشرية من كل ما يسئ لها في منظومة حياتها في مختلف مراحل نموها، وتطورها في المجالات كافة. فالحياة من دون هذه الأخلاق غالباً ما تعيش البشرية في دوامة من الفراغ الروحي التي يوقعها في الفوضى، والمشاكل أن فساد الأخلاق هو الطامة الكبرى التي تودي بالحضارة الإنسانية إلى الانهيار، والفناء والتاريخ خير شاهد على ذلك.(١) (محمد العربي ببوش، ٢٠١٨).

ما بين الماضي والحداثة:

لقد نظر البيروني من زاوية الفائدة الموجهة للبشرية ، إن التاريخ مستودع الخبرات البشرية، ومنبع لاستخلاص العبر، لتفادي ما يمكن حصوله أو الخروج من وضع ما ، باستلهام حيلة أو خطة ما . وهو يشير على استخلاص الحكمة من التجارب البشرية . فالتاريخ مستودع لهذه التجارب

^{١٢}- العلامة ولـ الدين عبد الرحمن بن محمد ابن خلدون، مقدمة ابن خلدون، الجزء الأول، الطبعة الأولى، دار يعرب، دمشق، ٢٠٠٤، ص ٢٥١
٢- صالح بن سالم اليعري، الأخلاق أساس الحضارة، الإتحاد، ٢٦ فبراير، ٢٠١٧

فالكتابة التاريخية مهمة جدا في حفظ التراث الذي يفترض حمايته وعدم العبث به ، وتحريفه ، وتحمل المسؤولية أمامه. ولهذا أكد البيروني قيمة الكتابة والتدوين في حفظ الآثار، والمعارف والأمم. فالتدوين والكتابة تفوق شرف كل علم وفن، والأهمية القصوى للتاريخ تكمن في أنه مستودع الخبرة، ومكتنز الحكمة الإنسانية. وهذا معناه أن الإنسان لا يمكن أن يتغاضل التاريخ في حياته، أو يستبعد حوادثه التي تعينه على فهم ذاته الحضارية . بل وتسهم في هدایته إلى اتجاهات أخرى تلزمها في الحاضر وقد تعينه على الكثير مما قد يصادفه في حياته.

هذه المعرفة التي يتم تناقلها جيلاً زمنياً بعد جيل تطرح مسألتين الأولى : ارتباط الماضي في الحاضر بالحاضر فالتأريخ مستمر في الحاضر استمراً تفرض وجوده وعناصره ثقافة الأمة الحالية المتوارثة من الأجيال والثانية: أنه مؤشر يبني عليه ما يحدث في الحاضر تجاه المستقبل فالبيروني ربط الماضي بالحاضر فعنوان كتابه " الآثار الباقيه " يشير إلى هذه الفكرة فالتأريخ هو الماضي الحاضر إذ أن مجموع عوارض الماضي حاضرة بإخبارها وآثارها وفحص تلك الأخبار عملية تنجز دائمًا في الحاضر فالتأريخ حاضر بمعنىين .^{١٣} (ياسين ، ٢٠١٠)

تجسيد دولة الإمارات العربية المتحدة في البناء والتطور والازدهار بالمحافظة على التراث:
على الرغم من أن بناء نهضة الوطن وتحقيق الازدهار الاقتصادي والاجتماعي والتنموي وتحقيق الرخاء وإسعاد المواطنين تصدرت على الدوام قائمة أولويات المغفور له بإذن الله الشيخ زايد بن سلطان آل نهيان طيب الله أثره الا أنه كان دائم الحرص على المحافظة على التراث المحلي باعتباره مكوناً رئيسياً من مكونات الهوية الوطنية، وكذلك الشخصية الإماراتية ، حيث قال عن ذلك: "على شعبنا لا ينسى ماضيه وأسلافه، كيف عاشوا وعلى ماذا اعتمدوا في حياتهم وكلما أحسن الناس ب الماضيهم أكثر، عرفوا تراثهم، أصبحوا أكثر اهتماماً ببلادهم أكثر استعداداً للدفاع عنها، كما أكد مراراً مشاعر الاعتزاز بالتراث المحلي ، حيث قال: "لقد ترك لنا الأئلaf من أجدادنا الكثير من التراث الشعبي الذي يحق لنا أن نفخر به ونحافظ عليه ونطوره ليبقى ذخراً لهذا الوطن وللأجيال القادمة".

وعلى مر السنوات عمل الشيخ زايد رحمه الله ، على صون وحفظ التراث والعادات والتقاليد والقيم لضمان انتقالها إلى الأجيال المتعاقبة ، حيث قال في هذا المجال : "من لا يعرف ماضيه لا يستطيع أن يعيش حاضره و مستقبله فمن الماضي نتعلم ونكتسب الخبرة ونستفيد من الدروس

^{١٣} - محمد العربي بيوض، د. عبد القادر مهارات الشهاب، دور القيم الروحية في بناء الأمم والحضارات حياثاتها-دولة المرابطين أنموذجا، مرجع سابق، ص ٢٧٨-٢٧١
٢- رياض حموده ياسين، البيروني ودوره في الكتابة التاريخية، دار يafa العلمية للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، ٢٠١٠، ص ٢٤٤-٢٤٥

والنتائج" ، وتماشيا مع هذا النهج أولت الدولة اهتماما كبيرا بإقامة مؤسسات متخصصة في حفظ التراث، بما فيها نادي تراث الإمارات الذي تم إنشاؤه في عام ١٩٩٣، وإقامة المتاحف والمعارض والقرى التراثية التي تعرف المواطنين والمقيمين والزوار بجوانب مختلفة من التقاليد والعادات المحلية، ونشر وترسيخ التراث وتأهيل قطاع الشباب والناشئة ليكونوا أعضاء فاعلين في المجتمع، بما يتواكب مع طبيعة العصر ومتطلباته، حيث قال الشيخ زايد طيب الله أثره في هذا المجال: "الجيل الجديد يجب أن يعرف كم قاسى الجيل الذي سبقه لأن ذلك يزيده صلابة وصبرا وجهاداً لمواصلة المسيرة التي بدأها الآباء والأجداد وهي المسيرة التي جسدت في النهاية، الأمانة القومية بعد فترة طويلة من المعاناة ضد التخلف والحرمان".

إلى جانب ذلك وجه الشيخ زايد بتنظيم الكثير من النشاطات والفعاليات التي تحافظ على التراث المحلي مثل سباقات الهجن وفعاليات الفروسية والصيد بالصقور، وسباقات الزوارق الخشبية انطلاقاً من إيمانه بأهمية هذه الفعاليات في بناء شخصية النشاء الجديد وتعليمه الصفات الحميدة.^(١) (زايد مسيرة القائد المؤسس، ٢٠١٨)^{١٤} كما حظيت الجمعيات التراثية باهتمام خاص ،بالتزامن مع إقامة مراكز وفعاليات متخصصة للفنون القديمة والحرف اليدوية والصناعات التقليدية ،لضمان المحافظة عليها من الاندثار ،وأن تسير عجلة التحديث المتتسارعة بالتزامن مع التمسك بالتراث والتاريخ والتقاليد.

وشكل الحفاظ على القيم الإماراتية الأصلية إحدى أبرز القضايا التي حظيت باهتمام الدولة منذ قيامها، وقد أشار الشيخ زايد طيب الله أثره ،على الدوام إلى ضرورة المحافظة على هذه القيم المستمدة من الشريعة الإسلامية السمحاء باعتبارها أحد الأسس الرئيسية للمجتمع الإماراتي مؤكداً أن ثقافة المجتمع وهويته ستظل مصدراً للإلهام وفخراً للمجتمع ، وأن القيم التقليدية التي تجذر في صميم الحياة في دولة الإمارات العربية المتحدة غير القرون، تؤكد على أهمية العلاقات الإنسانية، وكرم الضيافة، والتسامح والتعايش بين مختلف الثقافات^(١) (زايد مسيرة القائد المؤسس، ٢٠١٨)^{١٥}.

الخاتمة: نلاحظ مما تقدم لقد كان للصحراء دور كبير جداً قد لعبته على مر العصور. فمنذ بداية التاريخ ، كانت أقدم الحضارات قد نشأت من قلب الصحراء وحققت إنجازاتها. ولاسيما دولة الإمارات العربية فنلاحظ أن تلك القاعدة الصحراوية الواسعة، كانت لها الدور الفعال التي قامت ونشأت عليه دولة الإمارات العربية المتحدة حيث قام سكانها من استثمار تلك

^{١٤} ٢٠١٨ زايد مسيرة القائد المؤسس، إصدار موتيفيت للنشر، دبي، ١-١

^{١٥} ٢٠١٨ زايد مسيرة القائد المؤسس، إصدار موتيفيت للنشر، دبي، ١-١

العوامل والظروف في عملية التأسيس والبناء ومنها إلى تحقيق الإنجازات والطموحات الكبيرة. مع الحفاظ على هذا التراث العريق، وقد تمكنت دولة الإمارات العربية المتحدة من تحقيق إنجازات توأكب بتطورها أحدث التطورات في العصر الحالي.

وما بين الماضي وال伊拉克 والحداثة والتطور نشأت وازدهرت دولة الإمارات العربية المتحدة وما تشربت منها من أصالة، وقيم، و伊拉克. ومن خلال الفكر الهداف والطموح الكبير والسعى المتواصل والجهد الكادح ازدهرت وأصبحت مثال يحتذى به وقدوة بكل المعايير حيث كانت تلك قاعدة غنية بالدروس والأسس القيمة، إذ أن تلك القيم وال伊拉克 والأصالة هي الميزة الجوهرية التي امتازت بها، وحافظت عليها وتقوم بتوريثها للأجيال.

قائمة المراجع

- البريجية، أ. (٢٠١٦، ٢٢ سبتمبر). مفهوم الحضارة والقيم.
- الجغرافيا لدولة الإمارات العربية المتحدة. (د.ت.). د.م.: مكتبة المعرفة.
- الكريم، أ.-س. ع. أ. (د.ت.). عوامل نشوء الحضارات بين الأحادية والتعددية. جامعة بنغازي.
- المكتوم، م. بن ر. (٢٠١٨). قصبي. دبي، الإمارات العربية المتحدة: دار الاستكشاف للنشر والتوزيع.
- السلوم، أ. أ. (د.ت.). القيم الروحية والتقدم التنموي في فكر ابن خلدون، مع الإشارة إلى التجربة الماليزية كنموذج لمساهمة القيم في التقدم التنموي للمجتمعات المعاصرة. جامعة أدرار.
- ابن خلدون، و. الد. ع. الر. بن م. (٢٠٠٤). مقدمة ابن خلدون (المجلد ١ ، الطبعة الأولى). دمشق، سوريا: دار يارب.
- الياري، س. بن س. (٢٠١٧، فبراير). الأخلاق أساس الحضارة. الاتحاد.
- قاسم، ق. أ. ق. (٢٠١٥). التاريخ: المفهوم الثقافي. القاهرة، مصر: دار العين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية.
- ياسين، ر. ح. (٢٠١٠). البيروني ودوره في التاريخ (الطبعة الأولى). يافا: دار يافا العلمية للنشر والتوزيع.
- زناتي، ج. ج. (٢٠١٨). الموسوعة التاريخية لإمارات السعادة: الإمارات العربية المتحدة بين عبق الماضي وآمال المستقبل. جامعة الإسكندرية.
- زياد: رحلة القائد المؤسس. (٢٠١٨). دبي، الإمارات العربية المتحدة: موتيفيت للنشر.